

الاشتياق إلى النبي صلى الله عليه وسلم

1430/6/12 هـ

عناصر الموضوع:

1. اشتياق الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم.
2. اشتياق التابعين ومن بعدهم للنبي صلى الله عليه وسلم.
3. محبته تقتضي طاعته ومعرفة سنته وعدم الغلو فيه.
4. المصائب سببها الذنوب وليست الطبيعة.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد ..

فإن محمداً -صلى الله عليه وسلم- آخر الأنبياء، وأحبهم إلى الله، ائتمنه الله على وحيه، وأرسله إلى خلقه، بعثه هادياً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى سبيله بإذن ربه، صلى الله عليه وعلى آله .

اشتياق الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

محبة المؤمنين لرَبِّهم عظيمة، ومحبتهم لنبيه -صلى الله عليه وسلم- من محبتهم لرَبِّهم، لأن الله يحبه، ولأن الله أرسله، ولأن الله أوجب علينا حبه، وقال لنا في كتابه { **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** } {الأحزاب: من الآية 6} . بذل لنا النصيحة، كان أرأف وأشفق بنا من آبائنا وأمهاتنا، هو أعظم من منزلة الوالد، رحيم رؤوف بالمؤمنين، عزيز عليه ما شق علينا، فلا يسع المؤمن إلا أن يحبه لأن الله يحبه، ولأنه خليل الله، وأحب خلق الله إلى الله، ولأن الله بعثه ولأنه قدوتنا ولأن له من السمائل والصفات والآداب والأخلاق وعظيم الطباع وجميل السجايا، ما يجب لأجل ذلك،

ويحمد عليه، فهو محمد وهو أحمد وهو الماحي الذي يمحي الله به الكفر، وهو الحاشر الذي يحشر الله الناس على عقبه، وهو مصطفى من البشر خيرهم عند الله، وقد وعى الصحابة هذا فأحبوه لذلك، وحكموه في أنفسهم، وأمواهم وقالوا هذه أرواحنا بين يديك، لو استعرضت بنا البحر لخصناه، وهذه أموالنا بين يديك فاقسمها كيف شئت ستجدنا من خلفك وعن يمينك وعن شمالك،

أبرُّ بني الدنيا وأعظمُ من شكرٍ وأكرم مخلوقٍ على سائر البشرِ
به الله قد أهدى إلى الناس رحمةً وبه ضياءُ الحق في الكون قد ظهر

وقد اشتاق الصحابة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته وبعد مماته، وأحبوه حباً لم يعرف التاريخ مثله، حتى قال أنس : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْهُ) أحمد (12117) ، وإسناده صحيح.

وقال علي رضي الله عنه : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (22/2).

"وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ" كما يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه : لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ . [مسلم: 121]

كُلُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْحَبِيبِ تَمِيلُ ومعي بهذا شاهداً ودليلاً
أما الدليلُ إذا ذكرتُ محمداً صارت دموعُ العارفين تسيلُ

وقال عدوه: ما رأيت من الناس أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". السيرة النبوية الصحيحة (400/2) سيرة ابن هشام (160/3)، الروض الأنف (166/6) الشفا (23/2).

وهكذا تغلغل حبه في قلوبهم، فوصل إلى الحشايا وتعمق في نفوسهم، فكان أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين، كما قال لهم وعلمهم : ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)) البخاري (6632).

ولو لم يكن في القلب حبُّ محمدٍ لعمّت بك البلوى و دام الضلالُ
بل كل من صدقت محبته للنبي -صلى الله عليه وسلم- أحبه أكثر من نفسه، ولذلك كان أحدهم يقول : نحري دون نحرك.

وقال عمر للعباس : يا عباس والله لآسلامك يوم أسلمت أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب - يعني أباه - لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم". الطبراني (7264) بإسناد حسن (الصحيحة / 3341)

عمر رضي الله عنه لم تمنعه قوة شخصيته ولا غضبه في الحق أن يكون صاحب مشاعر حساسة وقلب مرهف تجاه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد فرض لأسماءَ بنِ زيدٍ ثلاثة آلافٍ وخمسة مائة، وفرضَ لابنه ثلاثة آلافٍ، فسأله ابنه عن ذلك فقال: لأنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ، وَأَسَامَةُ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ، فَأَثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ. الترمذي (3813) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد حكى التاريخ حبه لهم له، حتى أن الملوك لا يفعل معها كما يفعل معه، لا من باب الذل والعبودية، ولكن من باب التوقير ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ - يعني ما رأيت ملكاً قط - يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ). البخاري (2734).

كانت محبته في قلوبهم أصيلة، كان شوقهم إليه عظيمًا، هذا ثوبان مولاه كان قليل الصبر عنه، يشتاق إليه كل يوم، جاءه يوماً وقد رأى في وجهه تغيراً فقال: ((**ما غير لونك**)) ؟

فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك وأستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ووالله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرت الآخرة عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك !

فترل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء: 69) الطبراني في الأوسط (477). وقال الألباني: صحيح بشواهده. فقه السيرة.

ولما قَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ وَقَرَّبُوا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِرُونَ وَيَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَجْرَةَ مُحَمَّمًا غَدًا وَحِزْبَهُ

[أحمد: 12921، وصححه الألباني والأرنؤوط]

وكان بلال يرددھا قبل أن يموت، وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا ويذكر شوقه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن مضى من أصحابه وآله ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم.

وهكذا كانت العجائز في بيوتها إذا نفشت الصوف تتذكر محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الأخيار، وكيف كان بكأؤهم بالأسحار، وتقول إحداهن:

يا ليت شعري والمنيا أطوار هل تجمعي وحببي الدار

ولما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لواحد من الصحابة: ((أنت مع من أحببت))

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. البخاري (3688) ومسلم.

كيف لا وهو سبب منع العذاب عنهم، لأن الله قال في كتابه: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} (الأنفال: من الآية 33).

كيف لا وهو مصدر الوحي، يأتيهم عبره، كيف لا وهو قدوتهم، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب: من الآية 21).

ذو البجادين تربي في حجر عمه، فنازعته نفسه إلى الإسلام، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك
بإسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لي في الإسلام.

فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك حتى ثوبيك!

فصاح لسان عزيمة: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها.

فجرده عمه من كل شيء حتى الثياب، فناولته أمه بجاذاً لها، فقطعه نصفين، فاتزر نصفاً وارتدى
نصفاً. وأتى رسول الله، فقال: ما اسمك؟ قال: عبد العزى.

فقال: بل عبد الله ذو البجادين". اللطائف (8/1) صفة الصفوة (678/1) وحلية الأولياء (365/1).

وهكذا زيد رضي الله عنه يقول للكفار: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه
تصبيه شوكة وإني جالس في أهلي! الطبراني في الكبير (5284).

إني لأرخصُ دون عرضك مهجتي روحُ تروحُ ولا يُمسُّ حماكنا
روحي وأبنائي وأهلي كلهم وجهي ما حوت الحياةُ فذاك

وكذلك فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد فدي في أحد، وقالت المرأة لما استقبلت بابنها
وجثت أبيها وزوجها وأخيها: ما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قالوا: خيراً، هو
بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.

فأشير لها إليه حتى إذا رآته، قالت: (كل مصيبة بعدك جلل). الروض الأئف (25/6)، الشفا (22/2).

هكذا كان الواحد منهم يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله". الطبراني في الأوسط (7499).

لما مات أظلمت المدينة، لما مات أنكر الصحابة قلوبهم، لما مات كانوا يتذكرونه صباح مساء،
وقدم عمر الشام وفيها بلال وكان بلال لا يؤذن، فسأله المسلمون أن يسأل بلالاً أن يؤذن،

فسأله فأذن يوماً، فلم يُرَ يوماً كان أكثر باكياً من يومئذ، ذكراً منهم للنبي صلى الله عليه وسلم.
سير أعلام النبلاء (357/1).

اشتياق التابعين ومن بعدهم للنبي صلى الله عليه وسلم

وقيل لعبيد السلماني إن عندنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من قبل أنس بن مالك.

فقال: لئن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء -يعني من الذهب والفضة - على ظهر الأرض.

الآن لم يبقى من آثار النبي -عليه الصلاة والسلام- شيء، لا سيف ولا عصي ولا ثوب ولا شعره، وما في المتاحف كذب ولم يثبت، ولكن بقيت سنته، بقي القرآن الذي نزل عليه قبل ذلك، وبقي لنا هذان الوحيان وآثار أصحابه، وشروح التابعين، وبقي لنا الإيمان به والشوق إليه، وهو الذي قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أَحَدِكُمْ يَوْمَ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ)) مسلم (2364).

قال العراقي في طرح الشريب " أي: ((يَأْتِي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ يَوْمَ لَأَنْ يَرَانِي فِيهِ لَحْظَةٌ ثُمَّ لَا يَرَانِي بَعْدَهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ جَمِيعًا)) . شرح مسلم. طرح الشريب (387/7).

فماذا تكون مشاعر الإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي داود وأحمد والبيهقي وأهل الحديث كافة وهم يكتبون الحديث عنه ويجولون في البلاد لجمعه، ويسهرون الليل لكتابته، ويدرسون علل الأساليب، ماذا كان شوقهم، وكيف كانت حالتهم، وأهل الإيمان يتمنى الواحد منهم أنه رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- لحظة ليحظى بأجر الصحبة،

فَيَكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
وقال -عليه الصلاة والسلام- : ((مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)) مسلم (2832).

فالمؤمن الصادق يتمنى حقيقة أن يكون قد عاش في عهده أو رآه، يتمنى رؤيته ولو لحظة ،

نسبنا في ودادك كل غال
نلام على محبتكم ويكفني
ولما نلقكم لکن شوقاً
تسلى الناس بالدينا وانا
فانت اليوم اعلی ما لدينا
لنا شرف نلام وما علينا
يذكرنا فكيف اذا التقينا
لعمر الله بعدك ما سلينا

خرج الרכب العراقي حاجاً في سنة 394هـ ، فلما فرغوا من الحج عزم أميرهم على العود سريعاً إلى بغداد وأن لا يقصدوا المدينة النبوية خوفاً من سراق الحجيج، فقام شابان قارئان على جادة الطريق التي منها يُعدل إلى المدينة النبوية - عند المفرق - ، وقرأ: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} (التوبة : 120).

فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوق أعناقها نحوهما، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم» تاريخ ابن كثير (334/11) والمنظم (44/15).

لم يكن الشوق ولم تكن المحبة ولم يكن الميل من البشر إليه فقط، أراد الجن أن يلتقوا به، أي الصالحين والمؤمنين منهم فالتقوا به أكثر من مرة، وخطب يقوم إلى جذع، فلما صنع له المنبر وكان عليه سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار [وفي رواية: فصاحت النخلة صياح الصبي] [فسمعوا من حينها حتى كثر بكاءهم]

حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت". البخاري (3583) وهو عند أبي نعيم.

وقال-عليه الصلاة والسلام- عن الجذع: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمَهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). أبو عوانة وابن خزيمة (1777) وأبو نعيم. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2174)

والجذع حن إليه عند فراقه
شوقاً حنين الهائم الوهان

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ الْخَشْبَةَ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ. الشفا (304/1)، صحيح الجامع (2256). وفتح الباري.

كان حجر بمكة يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث . رواه مسلم (2277).

والشجرة أعلمته باجتماع الجن له، وأخبرته ذراع الشاة المسمومة بما فيها. رواه الدارمي (67)

وَكَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْقُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنْعَهُمْ ظَهْرَهُ، فَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ -مَسَاكِينَ مُحْتَاجِينَ لِهَذَا-، فَقَامَ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَى الْجَمَلَ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: إِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ: ((لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ)).

فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ). أحمد (12203) قال ابن كثير في البداية والنهاية (155/6) : إسناده جيد .

أَنْتَ الَّذِي حَنَّ الْجَمَادُ لِعَظْفِهِ وَشَكَا لَكَ الْحَيَوَانُ يَوْمَ رَاكَ
وَالْجَدْعُ يُسْمَعُ بِالْحَنِينِ أَنْيُنُهُ وَبَكَاؤُهُ شَوْقًا إِلَى لُقْيَاكَ

قال مالك: « حجّ [أيوب السخيتاني] حجّتين، فكنت أرمقه، ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، بكى حتى أرحمه ، فلما رأيت منه ما رأيت ، وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه .» سير أعلام النبلاء (17/6).

وقال مصعب بن عبد الله :

« كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقليل له يوماً في ذلك ، فقال : لو رأيتم ما رأيت -يعني من شوق من قبلي- لما أنكرتم عليّ ما ترون »

وكان جعفر بن محمد كثير الدعاية والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفرَّ لونه ، وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عيناً لغريك دمعها مدراراً
وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

كان صفوان بن سليم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض 598.

محبه تقتضي طاعته ومعرفة سنته وعدم الغلو فيه

أين نحن من هؤلاء، ما حالنا في حالهم، وما أثر الحب علينا، أين الحبون، تباعد الزمان، وقلّ الأعوان في نشر السنة والخير والحق بالميزان، فصارت السنة عند الكثيرين مجهولة، فاتت السنة الكثيرة، فأين الاقتداء به -عليه الصلاة والسلام- في صلواته في العبادات في خشيته في بكائه في ذكره لربه، في توبته، في مشيته، في أكله وشربه ولبسه وهديه حتى في الخلاء، أين الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في المحن والسراء والضراء، أين الآية الدالة على المحبة والشوق إليه، أين التنفيذ لقوله تعالى : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمران: من الآية 31).

أين طاعته أين الاقتداء بهديه،

شرطُ المحبة أن توافقَ من تحبُّ على محبته بلا عصيان
فإذا ادّعت له المحبة مع خلافك ما يجب فأنت ذو بهتان
أين الاقتداء به في سنن الفطرة، اللحية وقص الشارب وشفط الإبط وحلق العانة وقص الأظافر، الاستنشاق غسل البراجم، والأشجاع، معاقد الأصابع، أين الاقتداء به -عليه الصلاة والسلام-

في قراءة حديثه ومعرفة معاني سنته، والدفاع عنها وكبت البدعة والرد على أهل البدعة والمنحرفين والغلاة ما هي علامات السنة، ماذا فعل الصحابة،

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلما أتانا واستقرت به النوى
بذلنا له الأموال من حل مالنا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم
ونعلم أن الله لا رب غيره
يذكر لو يلقى حبيبا مؤاتيا
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأفلسنا عند الوغى والتآسيا
جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
وأن رسول الله أصبح هاديا

وهكذا قاموا معه وهكذا صار يأتمرون بأمره، وهكذا كانوا يصلون معه ولا يتخلفون عنه في جهاد، هكذا كانوا ينفذون أمره ويحرصون على مرضاته ويضحون من أجله، ويكرمون أضيافه، ويهدونه في بيوته، وهكذا كانوا يشتاقون إليه، فيصلون عليه ويجعلون أذكارا وأورادا من الأدعية كلها صلاة عليه -صلى الله عليه وسلم-، إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟

فَقَالَ: ((مَا شِئْتَ))

قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟

قَالَ: ((إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)). الترمذي (2457) وصححه الألباني.

فليس من محبته -عليه الصلاة والسلام- الغلو فيه، ولا رفع فوق منزلته التي أنزله الله إياها، ليس من محبته الإشراف به مع الله، ليس من محبته أن يُسأل في قبره ويستغاث به بعد موته، ليس من محبته أن تصرف له أنواع من العبادات، ليس من محبته أن تجعل له علوم الدنيا والآخرة وعلوم اللوح المحفوظ وعلوم الغيب، ليس من محبته هذا الغلو، ليس من محبته التوسل به بعد موته، وليس من محبته التمسح بقبره ولا بشباك القبر وحديد القبر وقفص القبر، ليس من محبته أن تقوم هذه الموالد البدعية بما فيها من الرقص والدف والطبول والقصائد المشتملة على الشركيات والغلو بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، ليس من محبته أن يؤتى في هذه الموالد بالرقص والمنكرات، وأن

تشيع البطون من الحلاوة والبلاوة والأغنياء يتخمون بطوهم، والفقراء يخرجون من المولد بلا حمص، ليس هذا من محبته بشيء، ليس هذا من اتباع السنة في شيء، أين الدفاع عنه، أين الذب عن سنته، أين التمسك بهديه، أين قراءة الصحيحين والكتب الأخرى التي فيها الأحاديث ومعرفة معانيها، أين الإتياع أين ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) رواه البخاري (631) أين ((خذوا عني مناسككم)) رواه البيهقي (9524) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (7882) أين التعامل بهديه مع الزوجات وهديه مع الأبناء والأحفاد وهديه مع الأقارب والأباعد والصغار والجيران والخدم والدواب، أين التعامل بهديه مع النساء ومع كبار السن، وهديه في التعامل مع ذوي العاهات، حتى الدواب والبهائم، أين هديه في التعامل مع الأعداء والمنافقين، أين هديه في التعامل مع الأغنياء والفقراء وأهل المصائب والمسلمين الجدد، والمتخاصمين وحتى الأعراب وذوي الطباع الصعبة، أين هديه في التعامل مع العصاة والمذنبين والشباب والسفراء والوفود وغير المسلمين، حتى هديه في التعامل -صلى الله عليه وسلم- مع الناس كافة .

عِرضي فِداً عِرضِ الحِيبِ محمدٍ
وفداه مهجة خافقي وجناني
وفداه كل صغيرنا وكبيرنا
وفداه ما نظرت له العينان
وفداه ملك السابقين ومن مضوا
وفداه ما سمعت به الأذنان
وفداه كل الحاضرين وملكهم
وفداه روح المغرم الولهان
أرواحنا تفديته كل أوان
صلى عليه الرب في عليائه
إذ زانه بالصدق والإيمان

اللهم صل وسلم على عبدك ونيبك محمد، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته، اللهم اجعلنا من أتباعه، واحشرونا في زمرة، واسقنا من حوضه، وارزقنا شفاعته، واجعله أحب إلينا من أولادنا، وأموالنا وأزواجنا، اللهم ارزقنا اتباع سنته، والتأسي بهديه، أحيانا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بنبينا مع الرفيق الأعلى يا كريم، احشرونا في لوائه، واجعلنا معه في جنات النعيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وسبحان الله، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، أشهد إن لا إله إلا هو رب الأولين والآخريين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- لنا أثراً عظيماً، بلغنا الكتاب، وشرح الكتاب وهي السنة، وترك لنا هذين الثقلين والوحيين، وأوصانا بأهل بيت خيراً، أوصانا بعترته الشريفة، فنحب أقاربه وآله -عليه الصلاة والسلام- المسلمين مرتين، مرة لإسلامهم ومره لقرابتهم من النبي -عليه الصلاة والسلام- ، وهذا دعاء المسلمين في العالم في كل صلاة له ولآله، يصلون عليه وعلى آله، ويسألون الله البركة عليه وعلى آله .

المصائب سببها الذنوب وليست الطبيعة

وفيما علمنا يا عباد الله أن ما يصيبنا من المصائب إنما هو بسبب ذنوبنا، ولا زال المنافقون حتى هذه اللحظة وأهل الجهل والغباء يصرون على أن تعزى كل كارثة في الأرض ومصيبة إلى الطبيعة، الطبيعة فعلت والطبيعة وهبت والطبيعة أخذت والطبيعة منعت والطبيعة زلزلت، وهكذا فلا يذكر الله في كلامهم، والآيات التي نصت والأدلة على أن ما يصيب العباد من المصائب سببها ذنوبهم لا يعترفون بها، ويقولون هذا التيار الديني يقدم تفسيراً للأحداث تفسيراً دينياً يقوم على السذاجة، ماذا تسمي الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، تسميها سذاجة، قال الله تعالى : {مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيْئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} (النساء: من الآية79).

قال الله تعالى : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} (الشورى: من الآية30). ما أصابكم هذا أسلوب عموم، {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (الشورى:30).

ما هي المصائب ؟ أوجاع أسقام قحط غلاء غرق صواعق زلازل كما قال أهل التفسير كالحازن رحمه الله .

ثلاثة : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} (الروم: من الآية 41)

فما هو الفساد في البر والبحر؟ فساد الزروع والثمار، فساد الهواء والتلوث، نقص الثمرات القحط قلة البركة الزلازل الأوبئة الأنفلونزا بأنواعها، يا جماعة الآيات واضحة، {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا} الباء للسببية يا من يعقل! {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} .

قال الله تعالى : {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} (العنكبوت: من الآية 40).

قال الله تعالى في كتابه العزيز : {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} (الأنفال: من الآية 25) فتعم .

وهكذا نرى حديث النبي -عليه الصلاة والسلام- : ((إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه))، قالت عائشة: وفيهم أهل طاعة الله عز وجل؟

قال: ((نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله تعالى)) رواه أحمد (23613) وصححه الألباني في الصحيحة (3156).

الذي يمنع نزول العذاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهؤلاء أهل المنكرات يستعملون بها اليوم تبرجاً واختلاطاً وسفوراً وأنواع المحرمات التي يريدون نشرها، وكذلك الحرب على دين الله وحكمه والاستهزاء بأوليائه وأهل العلم والقضاء والشريعة، ولا يذرون شيئاً ولا يريدون أمراً بالمعروف ولا نهياً عن منكر ولا حسبة، ثم نقول لهؤلاء، يقول ربنا {وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} (الإسراء: من الآية 59). وأنتم تريدون أن لا يخاف الناس، وتقولون طبيعية لا أحد يفرع، لا داعي للفرع، طبيعية، فإذا زلزلت الأرض من تحت أقدامهم وقذفتهم فوهة بركان فما هي الطبيعية التي ستنتفعهم حينئذ، الله -عز وجل- يخوف العباد ويستعيبهم، النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول : ((إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)) أخرجه الطبراني في الكبير (460) وصححه الألباني في صحيح الجامع (679).

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول : ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ)). ابن ماجه (4022). وضعفه الألباني، وحسنه العراقي والبوصيري وابن حجر .

ويقول : ((لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا)) ابن ماجه (4019). وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (7978).. وجاء في النصوص القحط السنة أن تمطر ولا تنبت الأرض .

يريدون عزوها للظواهر الطبيعية ولا يريدون أن تربط بالنصوص الشرعية لا بالقرآن ولا بالسنة ولا بكلام العلماء .

النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول : ((أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا: الْفِتْنُ وَالزَّلْزَلُ وَالْقَتْلُ)) . رواه أبو داود (4278) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (959) .

فذكر ونصّ على أنه من العذاب، ثم يقال بعد ذلك كل شيء طبيعي، لا تربطوها بالتنفسيرات الدينية، وهكذا قال العلماء : الرزايا والمصائب في الدنيا هي مجازاة عن الذنوب . وقال شيخ الإسلام : " فما أصابه من الحسنات هي نعم الله فتقتضي شكرا، و ما أصابه من المصائب فبذنوبه تقتضى تذكرا لذنوبه يوجب توبة و استغفارا". مجموع الفتاوى (16 / 187)

وقال ابن القيم : " فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ومخالفة أوامر الرب، فليس في العالم شر قط إلا الذنوب وموجباتها ، وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال : أمر مشهود في العالم لا ينكره ذو عقل سليم ". مدارج السالكين (1 / 424)

وقال : " عقوبات الدنيا العامة وبلاؤها من آثار غضبه، فإذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء، فإذا رضي وزال غضبه، زال البلاء وخلفته الرحمة ". شفاء العليل (1/263).

قال الله تعالى : {أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} (النساء: من الآية79)

قال الله تعالى : { وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } (الروم: من الآية36)

وقال : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } (الشورى: من الآية30).

هذا الكلام واضح جداً في الآيات والأحاديث، وبعد ذلك يصرون، الله - عز وجل - قال :
{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} (الأنعام: من الآية 43).

لا فائدة، ستستمر مقالات المنافقين ليصروا على أن القضية قضية طبيعية عادية لا تستحق أي التفات في القلب ولا تأثر ديني، ولا أن تُنسب إلى شيء، فما الذي زلزل الأرض ؟ احتباسات غازات، فمن الذي أمرها أن تحتبس ؟ حركة الصفائح، فمن الذي أمر الصفائح أن تتحرك ؟ الجاذبية، فمن الذي أمر الجاذبية أن تعمل ؟ فمن الذي أمر الجاذبية أن تتحرك ؟ المياه ، والمياه أن تعمل ؟ الرياح، والرياح أن تعمل ؟ الفضاء، سننتهي إلى أين ؟ ألا يوجد رب يأمر، ألا يوجد رب يخلق، أين قوله تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (النحل: 40) .

عباد الله المسلم صاحب قلب حي، والمنافق قلبه ميت، مهما فعلت لا يمكن إيقاظه إلا إن يشاء الله، والدين عزيز أيها الأخوة، الدين عزيز وينبغي أن يبقى الدين عزيزاً، ولا نريد أن فهمين الدين، ولا أن نزل من قدر الدين، ولو أراد العالم ذلك لا يستطيعون، تبقى التصرفات هي التي تدنو والدين عالياً، وليس الدين قصيدة ينشدها مغني، أو أنه يعتز بذلك ثم تصرف الأموال إلى قنوات الفسق، ويقول : أغني نصف القصيدة لا كل القصيدة وتفاعل وأين الربيع وتذهب، الدين عزيز أعز من ذلك، والتزول إلى المستويات الهزلية فيه يضر صاحبه ولا يضر الدين شيئاً، يبقى دين الله عزيزاً، ويجب أن يسان الدين ويجب أن يتعامل مع الناس على أساس الدين ولو دغدغوا عواطفنا بتصريحاتهم، فما هو ؟ ((أسلم تسلم))، هذا الذي يقال لكل من تكلم ((أسلم تسلم، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين)) رواه البخاري (7)، كما قال -عليه الصلاة والسلام- هرقل وكسرى، يعني رعايك وأتباعك فهذا هو الخطاب ((أسلم تسلم))، هذا الذي ينبغي .

عباد الله إن المسلم يسأل ربه أن يثبتته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، نسأل الله تعالى أن يثبتنا حتى نلقاه، وأن يجعلنا من الذاكرين له الشاكرين، ومن الصابرين العابدين، ومن القانتين المستغفرين، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم آمن روعاتنا واستر عوراتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وشمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، نسألك العفو والعافية

في الدنيا والآخرة، نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، اللهم اقض ديوننا واستر عيوبنا وارحم موتانا واشف مرضانا واهد ضالنا، اللهم ثبتنا حتى نلقاك على الدين وأحسن خاتمتنا وأصلح نياتنا وذرياتنا يا كريم، آمنا في الأوطان والدور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا، وأشغل من أراد به سوءاً يا رب العالمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.